معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 1 (جوان 2022): ص.ص: 969-982

العنف والعدوانية في نظرية التحليل النفسي

Violence and aggressiveness in psychoanalytic theory

د. زوينة حلوان*

جامعة البويرة، المخبر المتعدد التخصصات في علوم الإنسان والبيئة والمجتمع، (الجزائر)، z.hallouane@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/24؛ تاريخ القبول: 2022/04/10؛ تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

وجدنا في بعض التناولات الحديثة للعنف والعدوانية عدم التمييز بين هذين المصطلحين رغم تبني المؤلفين للنظرية التحليلية. دفعنا هذا الخلط إلى دراسة نظرية نسرد فيها وجهات نظر أعمدة النظرية التحليلية وكيفية تبلور الأفكار إلى غاية الوصول إلى وضوح التمييز بين المصطلحين بتدقيق يبين استحالة جعلهما مرادفين. كما نوضح كيفية تموضع كل منهما في السلم الهرمي للنمو النفسي حسب المنظور التحليلي وهذا بالاستناد على المؤشرات النفسية التي تميز مراحل النمو بعضها البعض. بهدف توصيل معنى المصطلحين حسب تعريف مؤسسيهما قصد استعمالها للأغراض التي ابتكرت لأجلها في البحوث العلمية.

كلمات مفتاحية: العنف؛ العدوانية؛ التحليل النفسي؛ التوضيح؛ الفرق.

Abstract:

We have realized, in some current research, we find a lack of distinction between violence and aggressiveness, despite the authors' adoption of the analytic theory. This confusion led us to carry out a theory study, in which we list the views of the pillars of analytical theory and how their ideas crystallize, until we reach a clear distinction between the two terms, with details that show the impossibility of confusing them. We also explain how, each of the

* المؤلف المرسل

concepts is positioned in the hierarchy of psychological development, according to the psychoanalytic point of view, and this based on psychological indicators that distinguish the stages of development from one another. With the aim of conveying the meaning of the two terms according to the definition of their founders, and of inciting the authors to use them in their scientific research, according to the purposes for which they were invented.

Keywords: Violence; aggression; psychoanalysis; clarification; the difference

مقدمة:

يظهر دوما العنف كمرادف للعدوانية في أعمال بعض المؤلفين منهم الباحثين العرب ومنهم الغربيين، لكن لدى المحللين النفسانيين نجد الفرق واضح بين المصطلحين وخاصة في مؤلفات برجوري . عندما أدخل مصطلح "العنف الأساسي"، في الكتاب الذي يحمل نفس العنوان سنة .Bergeret J[(1)]، وضح ووصف بالتدقيق بدائية العنف مقارنة بالعدوانية، حيث تكون هذه الأخيرة موجهة لموضوع معين، بينما يتميز العنف باندفاع غريزي يحاول به الفرد أن يحمي نفسه.

1. تعريف العنـف:

قام برجوري بتوضيح أصل كلمة العنف باليونانية وما وجده يوضح أنها لم تكن عشوائية وإنما مناها الأصلي يدل على ارتباط العنف بالحفاظ عن الحياة، حسب قوله[(2)] .Bergeret J : "تعود كلمة العنف إلى مرحلة بعيدة جدا عن عصر ظهور التحليل النفسي. حيث يرجع أصل كلمة العنف "violence" المشتقة من جذر كلمة يونانية وهي "via" التي تعني الحياة "vie". إذن يعتبر العنف، بالنسبة للاشعورنا المشترك بمثابة قوة الحياة. غريزة الحياة والبقاء حيا. أما العدوانية فهي تتمثل في التلذذ بعذاب الآخر وهذا يستوجب عامل شبقي." هذا التعريف يوضح المكانة اللاشعورية التي يكتسبها العنف بالرجوع إلى أصل الكلمة التي تبعث إلى الحياة ومنه القوة التي تدافع عن الفرد من أجل

(1) Bergeret J. (1984), *Violences fondamentales*, Paris Éditions. Bordas
(2) Bergeret J. 2009, Actes de violence : réflexion générale, in *Le passage à l'acte*, Frédéric Millaud (dir), Paris, Elsevier Masson, p :5

البقاء. أما في العدوانية يظهر نوع من التلذذ بالمتعة لتألم الآخر.

ومنه عرف برجوري المصطلح الذي أتى به مدعما أقواله ومستشهدا بأقوال فرويد والتأكيد على أن هذا الأخير تطرق للعنف تحت تسميات عديدة، موضحا أن "المعنى الحقيقي لمصطلح "العنف الأساسي" متمثل في الدينامية الغريزية البدائية والتي توجد لدى عامة الناس. وقد تطرق Freud[1] ,عدة مرات إلى هذه الدينامية ، خاصة سنة في كتابه" مصير النزوة و في "الرجل ذو الذئاب" حيث أكد أنها غريزة بدائية ومتواجدة عند الإنسان والحيوان على حد سوى. وواصل فرويد خلال أعماله بتناول العنف الغريزي لكن تحت تسميات مختلفة أحيانا". .Bergeret J[2] وهذا يجعل برجوري يوحد التسميات المختلفة التي أتى بها سابقه "العنف الأساسي" مبرهنا على وجود مميزات هذا المصطلح في أعمال فرويد.

يضيف برجوري أن مصطلح العنف، يعود بمعناه الحقيقي إلى دينامية دفاعية بحتة بدون أي مشاركة ليبيدية، حتى عندما يتعلق الأمر بمهاجمة الآخر أو حتى قتله. لا يتعلق الأمر في حالة الفعل العنيف إلا بالحفاظ عن الحياة والحق في العيش، حتى ولو كان هذا الحق في تخيلات الفرد فقط، بحيث يحاول الفرد أن يحتفظ بشمول نرجسيته ولو على شكل خيالي"[3].

2. العنف والقساوة:

لقد تساءل فرويد عن كيفية اعتبار العنف الموجود في المجتمعات .Freud S [4] في كتابه "قلق في حضارة" في بداية الفصل السادس بطرح سؤال : "هل يمكن أم لا، الاعتقاد بوجود غريزة عنيفة، مميزة ومستقلة ؟ ". كأنه يبعثنا إلى التفكير في هذا العنف الموجود والتأكيد على وجوده، لكن الأمر يتطلب تصنيف هذا العنف ومعرفة ما إذا كان "غريزة".

وضح فرويد أن الميول إلى القساوة يتميز بشكل "غير شبقي" بقوله[5] "عندما يتعلق

(1) Freud S., (1915), *Métapsychologie*, Paris, Flammarion
(2) Bergeret J. 2009, Actes de violence : réflexion générale, in *Le passage à l'acte*, Frédéric Millaud (dir), Paris, Elsevier Masson
(3) Ibid
(4) Freud S., (1930), *Malaise dans la civilisation*, Paris, Dunod
(5) Ibid p: 75

الأمر بتفسير ظواهر الحياة، يجب أن نمنح لأشكال العنف "الغير الشبقي" المكانة التي تستحقها والتي تمثل الميول للقساوة ". وهذا يجعلنا نعتقد أن هذا الميول يتعلق بالعنف كونه مميز بافتقاره للشبقية ولا يمكن أن يكون متعلق بالليبيدو.

ربط فرويد "Trieb zui Grausamkeit": "نزوة القساوة" بالنزوات المجزئة والتي تتمثل في تعرية الآخر أو التعرية من طرف الآخر. كما يربطها أيضا، فيما بعد، بالوحشية الموجودة في النشاطات المجزئة القبجنسية من نوع "آكل اللحوم البشرية" من جهة وعدوانية شرجية من جهة أخرى[1].

تطرق فرويد[2] إلى القساوة كغريزية بدائية توجد لدى الإنسان البدائي وكذا عند الطفل الصغير وهذا قبل ظهور أي وجدان متعلق بالكراهية أو بالحب. حيث شرح في كتابه "المحاولات الثلاثة عن النظرية الجنسية"[3] ، هذه القساوة كأنها ترتبط فيما بعد بالليبيدو ولكن يضعها أولا كمستقلة عن كل نشاط جنسي ومركزة على الحاجة في الامتلاك والتي لا علاقة لها بوجع الآخر. وهذا يدل على انعدام الوجدانات لدى صغير الانسان عند ولادته. بل تظهر، في شكليها الايجابي والسلبي، خلال نموه ولا يمكن أن يتكون الحب والكراهية إلا عند اكتسابه خلال النمو.

علما أن أبراهام[4] ، وضع القساوة في مرحلة أرق حيث يستعمل الفرد آليات دفاعية رقية تساهم في تكوين القساوة حيث "يظهر الدور الذي يلعبه الكبت والاستثمار المضاد في مكوانات القساوة " الموجهة للأم وكذا الرغبة في الموت الموجهة لها". لكن هذه القساوة يمكن أن تصنف في سجل العدوانية كونها تتمثل في التلذذ بقتل الآخر دون أن يظهر الدفاع عن حياة الفرد.

3. دينامية العنف:

دعا برجوري[5] المحللين النفسانيين إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الأصول العنيفة

(1) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod
(2) Freud S., (1897), *Psychanalyse d'aujourd'hui*, Paris, PUF
(3) Freud S., (1923), *Les trois essais sur la théorie sexuelle*, Paris, Guallimard
(4) Abraham K., (1989), *Œuvres complètes*, Paris, Éditions Payot, p : 224
(5) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod, p : 231

للدينامية التفاعلية خلال النمو وصرح: "اقترح من جهتي وجوب اهتمام المحللين النفسانيين بالأصول العنيفة لهذه السلسلة الدينامية التي تتنوع أكثر فأكثر خلال النمو التفاعلي والظروف التي تحملها أنواع التخيلات البيئية".

علما أن اهتمام المحللين بالغريزة العنيفة قد ظهر في أعمال كل من أبراهام[1] وكلاين ورفيار[2] اللذان طورا أفكار النظرية في هذا المجال لكن هذا التطور لم يأتي بالتوضيحات التي أتى بها في كتاباته المتعلقة باكتشافه لـ"ما وراء علم النفس" كون فرويد[3] كان حذرا جدا عند استعماله "العنف الغريزي المتعلق بالإنسان" في الكثير من أعماله وخاصة خلال التعبير المجازي المتعلق بالعنف المستعار من المتوحش البدائي في كتابه "الطوطم والطابوه"[4]. لكنه في نفس الوقت تطرق إلى العنف بتصورات مسقطة ومطروحة بعيدا في المجال الزمني، لتُقبل أكثر في ذلك الوقت الذي يصعب فيه التصريح بوجود العنف عند كل المخلوقات البشرية دون استثناء وبصفة وراثية.

لم يخف فرويد الصعوبات التي واجهها في فهم "القساوة" التي تظهر في التحليل النفسي ويعترف بـ "صعوبة التحليل العميق لهذه القساوة"[5]. وأراد تصنيفها بالرجوع إلى النمو النفسي والتنظيمات التي يمكن أن تصنف فيها فذكر السل الذي يجد فيه هيمنة هذه القساوة حيث صرح: "يهيمن الميول إلى القساوة في التنظيم القبجنسي. لا نستطيع فهم بعض الأعراض القاتلة دون الأخذ بعين الاعتبار نزوة القساوة". وهذا يبين أن "القساوة تم تصنيفها من قبل فرويد في سجل التكوينات الفجة، التي لم تتمكن من اكتمالها لتصل إلى مرحلة الجنسية ولكن هذا لا يمنع أن تكون هذه "القساوة" كمصدر للطاقة الليبيدية عندما يكتمل النمو النفسي وهذا ما نجده في تصريحاته "يجب إظهار هذا الطابع الكيفي لليبيدو قبل الطابع الكمي للطاقة التي تعتبر أصل كل السيرورات النفسية"[6].

(1) Ibid
(2) Klein M. & Riviere J., (1937), *L'Amour et la haine,* Paris, Editions Payot
(3) Freud S., (1915), *Métapsychologie*, Paris, Flammarion
(4) Freud S., (1913), *Totem et Tabou*, Paris, Guallimard
(5) Freud S., (1913), *Totem et Tabou*, Paris, Guallimard, p : 103
(6) Ibid, p : 143

العنف ونزوة الموت:

حرص برجوري[1] على ضرورة التمييز بين نزوة الموت والعنف مؤكدا، على إجبارية التمييز بينهما حيث صرح: يجب أن نميز بين نزوة الموت والدينامية العنيفة الأساسية التي لا تهدف إلا للدفاع عن البقاء حيا وليس الرغبة في الموت". إن الفعل الذي ينبثق من العنف الأساسي والذي يتمثل في قتل الموضوع حسب نفس الكاتب[2] "لا يظهر إلا كحتمية ثانوية ناجمة عن الدفاع على حق العيش". بما أن نزوة الموت، في السيرورة النفسية تبعث إلى الجمود، حسب فرويد، عندما شرح "النرفانا". أما العنف، كونه يسعى إلى التمسك بالحياة والدفاع عن البقاء حيا، فهذا يجعلنا نصنفه في نزوات الحياة. كتب فرويد[3] نصا موجه لـ "ماواء مبدأ اللذة" أين يضع النزوة في المستوى الثاني وعالج فيه خاصية الغريزة العنيفة ". ومن ضروري تذكر أن العنف يجب أن يتميز عن التنظير المتعلق بـ"نزوة الموت".

4. العنف والليبيدو:

بين هذا وذاك أي بين التكوين الخالي من الليبيدو الذي تظهر فيه طاقة العنف مجردة من الشبقية والتطور إلى المرحلة الليبيدية أين نجد المصدر الأساسي للطاقة مرتكز على الليبيدو ذهب بعض المحللين إلى المستوى البيني الذي تجمع فيه المرحلتين لتشكيل سيرورة ثنائية كما أتى بها ميشال فان[4] من جهته بوضع فرضية "الاتكال المضاعف" "الاتكال الأول تضعه الليبيدو على العنف البدائي الذي يظهر في المرحلة التي تنبثق منها الجنسة الطفولية. والاتكال الثاني يوجه هذه الجنسية نحو وظائف الإنجاب عندما تستقر لتكون جنسية الراشد". وهذا يبين وجود عنف بدائي يسبق ظهور الليبيدو ويسبق الوجدانات التي يكتسبها الفرد سواء كانت إيجابية متمثلة في الحب أو سلبية متمثلة في الكراهية.

5. الفرق بين العنف والعدوانية:

لتوضيح الفرق الموجود بين العنف والعدوانية نتطرق إلى بعض التفسيرات التي ظهرت في الانتاج العلمي لعلماء التحليل النفسي اين برهن على انبثاق كل منهما وعن

(1) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod, p :230
(2) Ibid, p: 231
(3) Freud S., (1920), *Au-delà du principe de plaisir*, Paris, Editions Seuil
(4) Aisenstein M., (2000), *Michel Faim*, Paris, PUF

خاصيات تميز كل منهما عن الآخر رغم الفعل العنيف الذي يمكن أن يجمع بينهما.

نجد في أعمال برجوري[1] ظهور العنف في المرحلة البدائية من حياة الفرد ولا يحتاج إلى ظروف معينة كي يكتسبه الفرد كونه فطري حيث يأتي به الفرد عند ولادته والدليل على ذلك ما ورد في كتابه المسمى "العنف الأساسي" الذي يشرح فيه ما يسميه "بالعنف الأساسي" وتموضعه قبل النزوات. والذي يبعث إلى غريزة البقاء إلى جانب نزوات "الحفاظ الذاتي" التي ذكرها فرويد[2] أيضا إلى جانب "البقاء النرجسي، أي يتعلق الأمر بوضعية تجعل الفرد يخاف عن حياته إلى درجة تهديد البقاء حيا ما دام الآخر على قيد الحياة أي "هو أو أنا".

بينما تتطلب العدوانية وجود الوجدانات المتمثلة في الكراهية التي تجعل الفرد عدواني تجاه شخص ما حيث يقول برجوري[3] في أعماله عن العنف والتطور الوجداني: "العدوانية مثل الحب، حيث تمثل العلاقة بموضوع معين، ومُعرف من طرف الفرد، والذي تُنسب إليه الخصوصيات التي تبرر نوع الانفعالات الوجدانية الموجهة له من طرف الفرد". وبالتالي لا يستطيع فرد ما أن يكن الكراهية لشخص آخر إذا كان يفتقر من الوجدانات. كما يجب استثمار الآخر على أنه مختلف عن الذات. أي التمكن من الوصول إلى مرحة نمو تجعل الفرد يستطيع التمييز بين نفسه والآخر والتطور إلى مرحلة استثمار الموضوع كي يتمكن الفرد من اكتساب العدوانية.

شرح برجوري[4] كمية الوجدانات المتمثلة في الشبقية المرافقة للعدوانية حيث قال: "عندما يتعلق الأمر بالعدوانية، يجد الفرد نوع من اللذة المشبقة نوعا ما والمرافقة للعداء تجاه الموضوع. لكن في حالة العنف الأساسي لا يحمل الفعل العنيف للفرد القائم به أي فائدة من هذا القبيل، لأن بالنسبة له لا يتمثل فعله إلا في ردة فعل دفاعية استُعملت بدون أي إحساس لا بالسعادة ولا بتأنيب الضمير". حيث لا يفكر الفرد بإيذاء الموضوع ولا في الضرر الذي يلحقه به لأنه غير مقصود أي ليس من نوايا القائم بالفعل العنيف.

(1) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod
(2) Freud S., (1924), *Pour introduire le narcissisme*, Paris, Flammarion
(3) Bergeret J. (1992), *Violence et la vie*, Paris, Editions Payot
(4) Bergeret J. (1992), *Violence et la vie*, Paris, Editions Payot

يظهر العنف بدائي أكثر وبشكل مفاجئ جدا في مجمله: لا تظهر هنا أي استثمارات متعلقة بموضوع ما، وإنما يتعلق الأمر فقط بالتهديد الذي يشعر به الفرد، كأنه موجه له من طرف موضوع خارجي غير محدد. ويتمثل التهديد الذي يشعر به الفرد، متعلق بمسألة الحياة أو الموت، خاصة في الحالات القصوى. لا يهتم الفرد إلا بمصلحته ولا يعطى لموضوع ما أي أهمية. ولا يهتم الفرد بما يحدث للموضوع من جراء فعله العنيف حتى ولو أدى، دفاع الفرد عن نفسه إلى تدمير الموضوع بشكل مباشر أو غير مباشر. هذا لا يؤثر على اهتمامات الفرد الذي لا يبالي إلا بحماية نفسه وحياته الشخصية.

كما يضيف برجوري أن التمييز بين المصطلحين يجب أن يشمل ما ينجم عن الفرد والجماعة على حد سوى، ويلائم كل المستويات سواء كانت متعلقة بالهوامات أو بالحياة اليومية. إذ برهن برجوري[1] أن هذا التمييز بين العنف والعدوانية يلائم كل المواقف سواء تعلق الأمر بمواقف فردية أو جماعية. ونجد أمثلة لما سبق في كل سجلات التوظيف البشري. سواء على مستوى تخيلات الفرد أو على مستوى الحياة العائلية أو الاجتماعية المختلفة. لهذا يجب أن نفرق بين الرغبة في إيجاد المتعة المتعلقة بإيذاء الآخر وبين القيام بالفعل خوفا عن النفس سواء كان هذا الخطر حقيقي أم خيالي.

تحمل المواقف العدوانية للفرد ارتياح ذو طابع شبقي مرتبط خاصة بالعذاب الذي يسببه للموضوع، مثلما نجده في السادية، كما تظهر على شكل علاقات متسمة بالتناقض الوجداني المفرط بحيث يمزج التهجم على الموضوع، أي اللّذة المتعلقة بالهجوم من جهة، والتعلق الشبقي الذي يُقرب الفرد من الموضوع مع كبت كل المشاعر المتعلقة بالانتماء.

حسب يرجوري[2] يمكن أن نعتبر العدوانية كنشاط عقلي، مرصن بما فيه الكفاية بالسيرورة الثانوية ويبقى العنف الطبيعي كرد فعل آلي عادي بطريقة بدائية جدا، موجه لتخفيض قلق هجوم، وحتى التدمير من طرف شخص آخر غير معرف بعد. ولا تحمل ردة الفعل هذه، أي ارتياح ذو طبيعة ليبيدية حقيقية للفرد. وهذا لا نجده عند الفرد العنيف حيث لا يختار المواضيع التي يعاملها بعنف وغالبا ما يكون هذا العنف موجه

(1) Ibid
(2) Bergeret J. (1992), *Violence et la vie*, Paris, Editions Payot

لأشخاص غرباء أو لمن لا يكن لهم أي حقد.

كما أكد يرجوري[1] أن العدوانية تتطلب درجة معينة من استدخال وانحراف "شذوذي" للدينامية الجنسية والقدرة على التناقض الوجداني بينما لا يستطيع العنف الأساسي أن يصل إلى هذا المدى البعيد الذي يظهر فيه التناقض الوجداني. ويبقى ثابتا في الوضعيات التي تميز الأوقات الأولى لحياة الرضيع، أو التي كانت قد ميزتها من قبل.

انطلاقا من أعمال أبراهام[2]، واصلت كلاين وريفيار[3] أبحاثها وتحليل النتائج التي تنبثق من العلاج التحليلي إلى أن تبين لها وجود العنف البدائي ، حيث موضعت التخيلات العنيفة في مرحلة أكثر بدائية من مرحلة النمو الوجداني. حيث أشارت إليها بمثابة "مرحلة أكل اللحم البشري". بينما بقيت المرحلة الشرجية الكلاسيكية تمثل السادية. حيث تبعث الدينامية التخيلية العنيفة إلى كل التصورات المتعلقة بالوالدين أو بالجد والجدة. حسب كلاين وريفيار[4] "إن المواجهة البدائية ضد الموضوع ليست وحشية لكن توجد دينامية الحياة مرتبطة بموجات عنيفة متعلقة بالتخيلات الطفولية ، وهذا منذ نشأته. هذا الشرح جعل كلاين تقوم بتكملة لتنظير أبراهام ولم تناقضه.

بالنسبة لفرويد[5] للحب والكراهية أصول مختلفة. وتعتبر نقطة انطلاق العدوانية سابقة للحب والتي تتمثل في قلق سببه العالم الخارجي والذي أثار الحركية الدفاعية الخاصة بالأنا للحفاظ عن نفسه ويؤكد وجوده. أما بعد ظهور نزوة الموت[6] أصبح الأمر واضحا بالنسبة للعدوانية التي وضعت في خدمة الليبيدو. العدوانية الموجهة نحو الموضوع تسمى السادية والعدوانية التي تعود إلى الفرد نفسه تسمى المازوشية.

6. الخلط بين العنف والعدوانية:

1.6. الخلط بين العنف والعدوانية لدى المؤلفين العرب:

لكن نجد عند بعض المؤلفين ذوي التوجه التحليلي الخلط أو عدم التمييز بين

(1) Ibid, p : 89
(2) Abraham K., (1989), *Œuvres complètes*, Paris, Éditions Payot
(3) Klein M. & Riviere J., (1937), *L'Amour et la haine,* Paris, Editions Payot, p: 254
(4) Ibid, p : 307
(5) Freud S., (1915), *Métapsychologie*, Paris, Flammarion
(6) Freud S., (1920), *Au-delà du principe de plaisir*, Paris, Editions Seuil

العنف والعدوانية. على سبيل المثال كتاب عبد الرحمن العيسيوي[1] الذي تطرق من خلاله إلى الارشاد النفسي وقال: "أن ظهور السلوك العدوان لدى الإنسان يعد عاملا أو دليلا على أنه لم ينضج بعد بالدرجة الكافية". لكن حسب المختصين في التحليل النفسي هذا التعريف يميز العنف وليس العدوان.

كما تناولت أميرة الديب[2] العدوانية في كتابها الخاص بأسس بناء القيم الخلقية في مرحلة الطفولة، وأكدت في تعريفها للعدوانية " يكون غضب الطفل في بادئ الأمر غير موجه" . لكن هذا يشير إلى مميزات العنف وليس العدوانية.

نفس الخطأ نجده لدى محمود عودة الريماوي[3] ، في كتابه الذي أشار من خلال تعريفه للعدوان لدى الطفل والمراهق مدونا ما يلي: "إن إنزال الأذى بالآخرين هو في النهاية نوع من الانتقام، والانتقام في النهاية نوع من الدفاع، دفاع الذات عن نفسها أمام تهديد تواجهه الآن أو واجهته من قبل. لكن هذا التعريف لا يمكنه أن يتوافق مع تعاريف علماء التحليل النفسي فيما يخص العدوانية وإنما يتعلق بالعنف.

وذهبت محمد عبد الجواد، وفاء[4] 2009 ، ص 103) في كتاب عرضت فيه العدوان النفسي واللفظي للطلاب ، حيث لم تتمكن من الفرق بين المصطلحين واستعملتهما كمرادفين على النحو التالي: " ... التي تزيد من إمكانية حدوث السلوك العدواني. وتتوقف نتائج العنف على العادات المكتسبة أثناء النمو". إضافة إلى كون اعتبار العنف من طرف علماء النظرية التحليلية على أنه فطري وليس مكتسب.

2.6. الخلط بين العنف والعدوانية لدى المؤلفين الغربيين:

نذكر أيضا مقال رافي[5] الذي تطرق فيه إلى العنف الرمزي والعنف الجسدي

(1) عبد الرحمن العيسوي ، (1990)، الإرشاد النفسي ، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي ص: 80

(2) أميرة الديب ، (2002) ، أسس بناء القيم الخلقية في مرحلة الطفولة ، القاهرة ،مكتبة الأسرة ، ص: 97

(3) محمود عودة الريماوي، (2003)، الطفولة والمراهقة ، عمان، دار المسيرة ، ص: 24

(4) محمد عبد الجواد، وفاء، (2009)، العدوان النفسي واللفظي للطلاب، الرياض، مكتبة الرشد، 2009م، ط2 ، ص: 103

(5) Raffy A. (2009), Violence symbolique et violence physique avec l'enfant à l'épreuve de la psychanalyse, *Revue Le Coq-héron*, 4, n° 199, pages 118 à 132

لدى الطفل من خلال نظرية التحليل النفسي حيث تناول العنف كمرادف للعدوانية عند قوله:" هذا التخوف من العدوان الجسدي ومن رغبات الموت ، والذي يتم التعبير عنه بالقمع أو إنكار العنف في العلاقات مع الآخرين ، يتلقى إنكارًا لاذعًا للواقع. يبدو أن الزيادة الحالية في العنف الجسدي بين الشباب تشهد عودة هذا المكبوت في المجال الاجتماعي."

كما جاء في مقال جولدمان[1] في تناوله لموضوع العدوانية لدى الطفل الموهوب على ضوء التحليل النفسي : "غالبًا ما تترجم هذه المواقف كرها كبيرًا وحقيقيًا ، تكون عوائده العدوانية على شكل عنف وما هي إلا مجرد عواقب خطية ومرئية." وهذا الاستعمال للمصطلحين يبين عدم إعطاء القيمة الحقيقية لهما كما وردت لدى المحللين النفسانيين.

كما ورد في مقال جرابي[2] حيث حاول ربط العنف بالقرابين أو التضحيات معتمدا على التنظير التحليلي. وأكد أن "هذا العنف العدواني يحمل جانبان ، أحدهما سادي والآخر مازوشي : بحيث تكون في الأخير صورة العنف التي نستخلصها من علم النفس المرضي هي صورة القوة التدميرية التي تتخذ كموضوع شخص آخر أو الشخص نفسه ". لكن هذا التحليل يزيف المعنى الذي ميز به المحللون النفسانيون مفاهيم العنف والعدوانية.

7. توضيح الفرق بين العنف والعدوانية:

وضح برجوري[3] مميزات كل من العنف والعدوانية على النحو التالي:

- العدوانية توجه نحو موضوع معين ضمن التقمص الثانوي حيث يتعلق الأمر بموضوع جنسي وأوديبي. العنف الأساسي يتمركز بالعكس على محاولة تقمص أولية نرجسية حيث يبقى "الموضوع" الأساسي متمثل في الفرد نفسه والموضوع

(1) Goldman C., (2008), L'inexprimable agressivité de l'enfant surdoué, *Revue Pratiques psychologiques*, n° 14, pages 247 à 264
(2) Garrabé J., (2021), Violence et sacrifice. Du mythe à la psychopathologie, *Revue L''evolution psychiatrique*, N° 86, pages 277 à 285
(3) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod, p : 254

الخارجي لا يزال في مرحلة الفردنة ، ولا تمثل مكانة ومصير الموضوع الخارجي أي أهمية ثانوية خلال "سيرورة العنف البدائي ".

- تهدف العدوانية إلى الإساءة بالموضوع بصفة خاصة، أو تحطيمه وخاصة تعذيبه ، حيث يهتم العنف البدائي بالفرد نفسه قبل كل شيء وبالحفاظ على نفسه ولا يبالي بمصير الموضوع من جراء ذلك.
- تعتبر العدوانية في المنظور الفرويدي أنها تتعلق باختلالات الالتقاء والانفصال الذي يحدث في نزوات الحب مع الميول للكراهية حيث يتعلق الأمر بالتناقض الوجداني. وفي العنف الأساسي لا يستطيع الفرد أن يهتم بعدم الاستقرار الوجدانات لأنه لا يفهم لا في الحب ولا في عكسه أي الكراهية بل هو في مسار خيالي ، قبل التناقض الوجداني المتمثل في هوامات بدائية والتي تنشط في بداية العلاقة بالمحيط.
- اعتبرت العدوانية عند فرويد[1] بعد 1920 كأنها تنحدر من نزوة الموت ، بينما يبقى العنف البدائي مثل ما أتي بهبرجوري في إطار أولي ونرجسي لغرائز الحياة ، في المعنى "القبجنسي" حيث لا مجال لوجود غريزة الإنجاب.
- حسب قروبد ، لا تستطيع الحركية العدوانية أن تحدث إلا مع الجنسية ، أما العنف الأساسي فيعتبر ، بالعكس ، كضمان لدينامية اتكالية في فائدة الجنسية ، يتمثل في تسلسل متتابع من العنف إلى الجنسية.
- تستطيع العدوانية استرجاع العناصر الليبيدية لصالحها ، أما العنف الأساسي ، فهو يخسر منطقيا مكانته البدائية في الانضمام إلى المجال الليبيدي ، ضمن التحولات العلائقية التي ترافق التنشيط العادي للهوامات الأوديبية.

إذن يظهر واضحا في التنظير الذي أتى به برجوري أن الاختلاف في المستوى، الموجود بين التناقض الوجداني ومفهوم العنف الأساسي الذي لا يزال غير جنسي ولا يحمل أي صبغة يمكنها أن تنتمي للكراهية ولا للحب.

يضيف برجوري[2] لا يجب أن ننسى أن حركية الوجدانات المتعلقة بالموضوع، الذي يحمل خاصيات جيدة، متكون من تقمصات بدائية وثانوية. أما العنف فهو لا

(1) Freud S., (1920), *Au-delà du principe de plaisir*, Paris, Editions Seuil
(2) Bergeret J., (2014), *La violence fondamentale*, Paris, Dunod, p : 225

يبعث لموضوع معرف، وإنما يمنح الفرد الأولية لقدرته على النجاة بالحياة، بمستوى توظيف بدائي. لا يحتاج فيه الفرد لتبرير أو أي تكوين عكسي، مثل ما نلاحظه في إطار التناقض الوجداني.

الخلاصة:

بعدما قمنا بدراسة التعاريف التي أتى بها أعمدة التحليل النفسي فيما يتعلق بالعنف والعدوانية وكيفية التمييز بينهما، وهذا بالاعتماد على دلائل تدعم بعضها البعض. رغم تعدد المؤلفين إلا أن وجهة نظر التحليل النفسي واضحة، حيث يتميز العنف بخلوه من الوجدانات ، لاحب ولا كراهية ، وبدائي أكثر مقارنة بالعدوانية ، ويهدف إلى الحفاظ عن الذات بصفة فطرية بحيث لا يكترث الفرد لما يحدث للآخر من جراء عنفه وكل ما يهمه هو الحفاظ على حياته الشخصية، سواء كان التهديد وهمي أم حقيقي. أما العدوانية فهي تتعلق بمرحلة من النمو النفسي تجعل الفرد يدرك موضوعا خارجيا بحيث يتلذذ بآلام الآخر ويكن له الكراهية.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

1- محمود عودة الريماوي، الطفولة والمراهقة، عمان، دار المسيرة ،2003
2- أميرة الديب، أسس بناء القيم الخلقية في مرحلة الطفولة ، القاهرة ،مكتبة الأسرة ،2002
3- محمد عبد الجواد، وفاء، العدوان النفسي واللفظي للطلاب، الرياض، مكتبة الرشد، ط2 ،2009
4- عبد الرحمن العيسوي، الإرشاد النفسي، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي،1990.

المراجع باللغة الأجنبية:

5- Abraham K., *Œuvres complètes*, Paris, Éditions Payot,1989.
6- Aisenstein M., *Michel Faim*, Paris, PUF,2000.
7- Bergeret J, *Violences fondamentales*, Paris Éditions. Bordas,1984.
8- Bergeret J, *Violence et la vie*, Paris, Editions Payot,1992.
9- Bergeret J., Actes de violence : réflexion générale, in *Le passage à l'acte*, Frédéric Millaud (dir), Paris, Elsevier Masson2009.

10- Bergeret J., *La violence fondamentale*, Paris, Dunod,2014.
11- Freud S., *Psychanalyse d'aujourd'hui*, Paris, PUF,1897.
12- Freud S., *Totem et Tabou*, Paris, Guallimard,1913.
13- Freud S., *Métapsychologie*, Paris, Flammarion,1915.
14- Freud S., *Au-delà du principe de plaisir*, Paris, Editions Seuil,1920.
15- Freud S., *Les trois essais sur la théorie sexuelle*, Paris, Guallimard,1923.
16- Freud S., *Pour introduire le narcissisme*, Paris, Flammarion,1924.
17- Freud S., *Malaise dans la civilisation* , Paris, Dunod,1930.
18- Garrabé J.,Violence et sacrifice. Du mythe à la psychopathologie, *Revue L''evolution psychiatrique*, N° 86, pages 277 à 285,2021.
19- Goldman C., L'inexprimable agressivité de l'enfant surdoué, *Revue Pratiques psychologiques*, n° 14, pages 247 à 264,2008.
20- Klein M. & Riviere J, *L'Amour et la haine,* Paris, Editions Payot,193.
21- Raffy A, Violence symbolique et violence physique avec l'enfant à l'épreuve de la psychanalyse, *Revue Le Coq-héron*, 4, n° 199, pages 118 à 132 ,2009.